القسم الخامس

الحرب العالمية الأولى

- ١ -

أثار اعلان الحرب قلق بريطانيا ومخاوفها على مصالحها فى الشرق ، بعد ان أظهرت الفئة الحاكمة فى تركيا ، منذ بداية حكمها ، ميلا شديدا نحو المانيا • وهذا ما ازعج الحكومة البريطانية ، لانها كانت تأمل ان تلقى خلاف ذلك ، سيما بعد ان تغلبت على الكثير من القضايا المختلف عليها ، فوجدت لها حلولا صالحة لكلى البلدين ؟ حتى ان الحكومة التركية استخدمت قبيل اعلان الحرب عددا من الخبراء الانكليز فى مختلف دوائر الدولة ، واذا ما ادهش موقف تركيا فى الحرب الرأى العام البريطانى ، وأثار استيائه ، فذلك لاعتماده على الصداقة التركية البريطانية التقليدية ، وان أخذت تلك الصداقة بالضعف منذ عهد بعيد • فقد اتسعت الفجوة بين البلدين ، بعدما احتلت بريطانيا جزيرة قبرص ، وزاد فيها احتلال بريطانيا لمصر • وضاعف فى التباعد بين البلدين ، اصرار السياسة البريطانية على تقييد حقوق تركيا فى مصر ، وممالئة روسيا ، عدوة تركيا القديمة ، فى موقفها من تركيا • وكيف يستطيع الحلفاء تقديم عروض مغرية لتركيا بعد مواقفهم السابقة منها ؟ لقد أعطت بريطانيا وفرنسا وروسيا للسلطان تأكيداتهم بانه فى حالة بقاء تركيا على الحياد فسوف يحترمون استقلالها ، ومقامها طوال مدة الحرب

وسوف ينص على ذلك عند التسوية النهائية فى ختام الحرب • غير ان الاتراك لم ينسوا بعدما اعطيت لهم من تأكيدات عند بدء الحرب البلقانية ، بان الدول العظمى لن تعترف بأى احتلال يقع على أجزاء البلاد التركية • ولكن سرعان ما نسى الحلفاء وعودهم وتأكيداتهم بعد انتهاء الحرب البلقانية •

وكانت بعثة بريطانية تقوم بتدريب البحرية التركية يومذاك • ولكن البحرية فى تركيا لم تكن من القوى الهامة التى يعتمد عليها ، بخلاف ما كان عليه الجيش التركى • فكان الاعتماد كله يقع عليه وحده • وكان الجيش فى حالة غليان ، لينتقم لنفسه مما اصابه من فشل فى حروبه مع الايطاليين والبلقان • ويعزى اندفاع الجيش نحو الالمان ، الى قيام ضباط الالمان بتدريبه منذ نيف وثلاثين عاما ، وللاعتقاد السائد لدى قادة الاتراك بان الجيش الالمانى لن يخسر الحرب ، ولهذا أرادت تركيا ان تكون بجانب الجبهة الغالبة • يضاف الى ذلك ان الاتحاديين ، وان كانوا ينادون بالطورانية ويسعون لتحقيقها ، فانهم كانوا استعماريى النزعة • وقد وعدهم الالمان باعادة الاراضى التى سبق للبريطانيين والفرنسيين والروس ان سلخوها من جسم الدولة العثمانية • وربما كان قيام الدول المركزية بالتنازل عن امتيازاتهم الاجنبية رشوة أغرت الاتراك للانضمام الى جانبهم • وعلى كل حال فانه فى ايلول من عام ١٩١٤ أعلنت الحكومة التركية الغاء الامتيازات الاجنبية ولم يكن للحلفاء بد من قبول ذلك الالغاء على مضض •

وعرف بعد ذلك ان تركيا كانت مرتبطة مع المانيا بحلف تم التوصل اليه فى الثانى من شهر آب • وكما أظهرت الحوادث بعد ذلك ان الحلفاء أحسنوا صنعا بعرقلتهم دخول تركيا الحرب طيلة أشهر ثلاثة بعد اعلانها • ففى خلال تلك الفترة قامت الحكومة البريطانية ، ممارسة لحقوقها المشروعة

فى مثل هذه الاحوال ، بمصادرة بارجتين حربيتين كانتا تبنى فى المعامل البريطانية لحساب تركيا • ولما كان الجمهور التركى هو المساهم فى بناء تلك البارجتين فان عمل بريطانيا ، دعى الفئة المتعصبة للحرب من اعضاء الحكومة التركية لان يستغلها فى دعايتها للحرب • وتقدم الالمان الى تعويض الاتراك عن خسارتهم تلك بتقديمهم بارجتين سبق ان فرتا من الاسطول البريطانى والتجأتا الى الدردنيل تلك هى غوبن[1] وبرسلو[2] • ولكى تتفادى الحكومة التركية تجريد تلك البارجتين من السلاح أدعت انها اشترتهما من الحكومة الالمانية • ومع ذلك فقد بقيت البارجتان تحت أمرة ضباط وملاحين المان ، وقامت بحركات كبيرة هامة خلال الحرب • وبالاضافة الى ذلك فان الالمان كانوا يشرفون على الاسطول التركى • وفى نهاية تشرين الاول قامت المدمرات التركية بأمرة ضابط المانى ، وبايعاز من الاميرالية الالمانية بقصف الموانىء الروسية فى البحر الأسود ، العمل الذى أجبر الحلفاء على اعلان الحرب على تركيا •

- ٢ -

أوجدت الحرب وضعا غير طبيعى فى كل من مصر وقبرص حيث كانت القوة المحتلة فى حالة حرب مع الدولة ذات السيادة والتى يجب ان يخضع لها سكان كلى البلدين • وتفاديا لهذا الوضع الشاذ ، قضت بريطانيا بالحاق قبرص بالامبراطورية البريطانية ، وباعلان حمايتها على مصر • وكان من شأن هذا الحل ، وان يزره الوضع غير الطبيعى ، ان أثار انتقاد حلفاء بريطانيا ودفعهم للمطالبة بنصيبهم •

---

(١) Goeben. (٢) Breslou.

ان التأييد الذى منحه جيل من الساسة البريطانيين لتركيا ، مع ما كان فيها من فوضى فى الادارة وسوء فى معاملة الرعايا المسيحيين ، كانت له مبرراته • على ان ما حدث من أحداث معقدة بعد ذلك أدت الى تقطيع أجزاء الامبراطورية العثمانية ، ومساهمة بريطانيا فى تلك الاحداث هى التى أوجدت القطيعة بين الامبراطوريتين • فلكسب تأييد اليونانيين عند بداية الحرب ، عرض الحلفاء على اليونان القسم الشمالى من مقاطعة ايبروص أولا ، ثم منحوها امتيازات اقليمية واسعة على شواطىء آسيا الصغرى • وأخيرا فى تشرين الاول من عام ١٩١٥ عرضت بريطانيا جزيرة قبرص على اليونان مقابل معاونتها للصرب • ولكن اليونان رفضت جميع هذه العروض المغرية • فلما تبدل الوضع فى اليونان ، وجاء فنزيلوس[١] الى الحكم ، تقدمت اليونان الى الحلفاء عارضة تخصيص ثلاث فرق من المشاة تقوم بمساعدة البحرية البريطانية لاختراقها الدردنيل • واضطرت بريطانيا لرفض هذا العرض الهام ، لان روسيا التى سبق ان وعدتها بريطانيا وفرنسا بمنحها القسطنطينية ، عارضت بشدة طلب اليونان • وفى عام ١٩١٧ عرضت اضاليا وازمير على ايطاليا تنفيذا لاتفاق الحلفاء فى سنت جين دوموريين[٢] • وقبيل موقعة غاليبولى اقترح ان تقوم قوة بريطانيا باحتلال المنطقة القريبة من الاسكندرون ، لقطع خطوط المواصلات التركية بين تركيا ومصر وبينها وبين العراق • وكان لهذا الحادث سابقة تاريخية ، كانت ذات أهمية بالغة فى حماية مدينة القدس ، عندما احتل الصليبيون مدينة ايديسا (اورفا) فى حملتهم الاولى • لكن احتلال الجيش البريطانى لتلك المنطقة لم يرض الفرنسيين الذين اعلنوا ان مثل هذا العمل يعد عملا عدائيا موجها ضدهم • سيما وان السياسة الفرنسية كانت تقضى

---

(١) M. Venizelos. (٢) St. Jean de Maurienne.

بالحيلولة دون اقتراب احدى الدول نحو سوريا •

- ٣ -

وكان موقف الاقطار العربية التى كانت جزءا من الامبراطورية التركية سببا فى خلق مشاكل لم يحل بعضها حلا كاملا حتى أيامنا هذه • وتتعلق تلك المشاكل بابناء تلك المناطق ، وباولئك الذين نصبوا أنفسهم لزعامة سكان تلك الاقطار ، وأخيرا باليهود الذين كونوا اسرائيل • ولو تم جمع المعنيين بالامر معا فى مؤتمر واحد ، لكان فى الامكان التوصل الى اتفاق مقبول لدى الجميع • لكن الظروف القائمة يومئذ ، فرضت اتباع غير هذا الاسلوب فى حل تلك المشاكل • فعندما ارسل اللورد كشنر رسالة الى الحسين ، شريف مكة ، تؤيد الحرب ، مذكرا اياه بالمحادثات التى جرت قبيل ذلك ، وطالبا اليه تحديد السياسة التى سينتهجها اذا ما اشتركت تركيا فى حرب ضد الحلفاء ، لم تكن الحكومة البريطانية تفكر بسياسة صهيونية أزاء فلسطين • على ان اشتراك الفرنسيين والروس فى الحرب كان سببا لتأخير المفاوضات البريطانية مع العرب مدة طويلة • وكانت الحكومة البريطانية تهدف من وراء مفاوضاتها مع شريف مكة عن طريق ابنه الامير عبدالله ، المحافظة على مصالحها ومصالح حلفائها • وكانت تلك المفاوضات مضمنة فى ثمانى رسائل ، عرفت برسائل مكماهون[١] • وكان مكماهون هذا مندوبا ساميا لمصر يومذاك وقد عهد اليه أمر تمثيل بريطانيا فى تلك المفاوضات • ولو تمت صياغة مادة تلك الرسائل بشكل اتفاقية رسمية ، لزال ولا ريب ما اكتنف تفسيرها من غموض وابهام • ولكنها ظلت بشكل مطاليب وتحفظات ، عندما قرر الشريف الاشتراك فى الحرب ضد تركيا •

---

(١) Memahon Correspondence.

ومما يؤسف له حقا ان رسائل مكماهون ، التى اعتبرت المستند الوحيد لدى العرب ، بقيت صورة ناطقة للقضايا الغامضة المبهمة • فمثلا وردت فيها كلمة « ولاية » تارة بمعناها الاصطلاحى القانونى ، وأخرى بمعناها اللغوى العام • فقد استعملت مرة للولاية وثانية للمنطقة وأخرى للمقاطعة • كذلك جاء تحديد الاجزاء التى رغبت الحكومة البريطانية بعزلها عن تلك التى تعهدت بالسعى لاستقلالها ، مشوشا مرتبكا • وهذه ناحية كانت على جانب عظيم من الخطورة • ذلكم لان الحكومة البريطانية كانت تدعى دائما بان تعهداتها استثنت فلسطين ، بينما يصر العرب على خلاف ذلك • وكان فى الامكان ولا ريب التوصل الى وضع تعبير او صيغة توضح ان فلسطين مستثناة من تلك التعهدات ، فلا يختلف على موضعها • ولكن مما يؤسف له بقاء موضوع فلسطين غير واضح التحديد • ومما تتحدث به احدى تلك الرسائل عزل « اجزاء سوريا الواقعة غرب ولاية (منطقة) دمشق وحمص وحما وحلب » • ومن الواضح ان ذلك الجزء لا يشمل فلسطين لانها تقع فى الجنوب الاقصى لتلك المنطقة ، ولا يمكن شمول تلك الاجزاء المستثناة ، فلسطين ما لم يمدد خط حلب ـ حما ـ حمص ـ دمشق حتى اقصى الجنوب • ومما احتوته من اضطراب ان التحفظات البريطانية التى يقصد منها تأمين مصالح فرنسا ، لم تكن تشير الى فلسطين أو لبنان •

وكتبت أولى تلك الرسائل فى تموز من عام ١٩١٥ واستمرت المراسلات حتى كانون الثانى من عام ١٩١٦ • وقد اعلنت الثورة العربية فى شهر حزيران من عام ١٩١٦ • على ان ثمة مفاوضات بين بريطانيا وفرنسا وروسيا كانت تجرى خلال الاشهر التى سبقت تاريخ الثورة العربية ، انتهت بعقد

اتفاق سايس بيكو[1] ، بشأن الاقطار التابعة للدولة العثمانية • وبحسب هذا الاتفاق ستنال روسيا ، بالاضافة الى القسطنطينية ، مساحات من الاراضى الضيقة فى جانبى البسفور ، والجزء الاعظم من المقاطعات التركية الاربع ، المجاورة الى الحدود الروسية • ولم تطالب روسيا بأى جزء من البلاد العربية ، كما انها اعترفت بمطاليب بريطانيا وفرنسا • اما هاتان الدولتان فقد اتفقتا على ضرورة احداث :

(١) منطقة دولية فى فلسطين (تاركين جزءا كبيرا من هذا القطر مع سوريا) •

(٢) منطقة بريطانية فى البصرة وبغداد •

(٣) منطقة فرنسية فى سوريا وكليكيا •

(٤) دولة عربية مستقلة ، أو فدراسيون عربى مستقل ، يقع بين المنطقتين البريطانية والفرنسية مقسمة الى منطقتى نفوذ بريطانى وفرنسى •

ومع ان الفرنسيين ، كما اعترفوا بعد ذلك ، كانوا مطلعين على مراسلات مكماهون عندما فاوضتهم بريطانيا لاجل عقد اتفاق سايكس بيكو ، فان الشريف حسين لم يكن دار بذلك الاتفاق ، وظل يجهل أمره حتى اعلان الثورة البلشفية • كذلك بقى الاتفاق سريا عندما اعلن وعد بلفور[2]، فى تشرين الثانى من عام ١٩١٧ • وقد جاء هذا الوعد نتيجة مفاوضات بدأت فى أوائل عام ١٩١٥ ، عندما اقترح السر هربرت سموئيل • الحاق فلسطين الى الحضيرة البريطانية ، على ان يوطن بها عدد كبير من يهود العالم • ويتضمن وعد بلفور عدة اندفاعات تهدف الى : توجيه عطف الشعب البريطانى الى المشاكل التى يعانيها اليهود المشردون فى مختلف الاقطار ، وتحقيق الامل

---

(١) Sykes-Picot Agreement. (٢) Balfour Declaration.

المتقد فى قلوب اليهود للعودة الى فلسطين ؛ سيما وان الكثيرين من المسيحيين فى بريطانيا والولايات المتحدة كانوا يعتقدون بأن عودة اليهود الى فلسطين ليس الا تحقيقا للرغبة الآلهية • ومن أهداف تلك الاندفاعات الاحتفاظ بحصن للدفاع عن قناة السويس • وأخيرا ـ وربما كان هذا أهم الاندفاعات ـ الرغبة فى الفوز بتأييد الرأى العام اليهودى فى الولايات المتحدة وفى غيرها من الاقطار ، لقضية الحلفاء وللسياسة البريطانية على وجه التخصيص •

ولم تنل صيغة وعد بلفور ، التى ناقشها طويلا يهود انكلترة ويهود الولايات المتحدة ، تأييد أية طائفة منهم • لانهم كانوا يخشون ان يعتبر اليهود أجانب فى الاقطار التى كانوا يعيشون فيها ، ويؤدون لها فروض الطاعة ، فتتضرر مصالحهم •ولهذا ادخلت عليه فقرة تؤمن حقوق اليهود الذين لا يرغبون فى النزوح الى فلسطين • فجائت وثيقة وعد بلفور كما يأتى :

« ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين • وستستعمل اجدى محاولاتها لتسهيل تحقيق هذا الهدف • ومن المفهوم انه لن يؤت بأى عمل من شأنه ان يمنع المجتمعات غير اليهودية فى فلسطين من ممارسة حقوقهم المدنية والدينية ، أو ان يضر بالحقوق والاوضاع السياسية التى يتمتع بها اليهود فى كثير من الاقطار » • وللتلطيف من حدة سخط العرب واستيائهم لما ورد فى وعد بلفور ، انتدبت الحكومة البريطانية القائد هوغارث[٢] لايصال رسالة خاصة الى الشريف حسين ملك الحجاز ، تتضمن التأكيدات التالية :

(١) ان حكومة جلالته قررت الا يخضع شعب الى سيطرة شعب آخر فى فلسطين •

---

(١) - Commander Hogarth.

(٢) ان الاماكن المقدسة فى فلسطين يجب ان تخضع الى نظام خاص تؤيده مختلف الاقطار •

(٣) ان جامع عمر لن يخضع لاية سلطة غير مسلمة •

وانتهت الرسالة بما يأتى :

« لما كان الرأى العام اليهودى فى العالم يؤيد العودة الى فلسطين ، وما دام هذا الرأى يجب أن يظل عاملا ثابتا ، ولان حكومة جلالته ترغب بتحقيق هذا الحلم ، وما دام ذاك الحلم لا يتعارض وحرية السكان الموجودين ، اقتصادية كانت تلك الحرية أم سياسية ، فان حكومة جلالته عازمة على ازالة أى عائق يحول دون تحقيق ذلك الهدف » •

وما ان وصلت تلك الرسالة الى الملك حسين ، وقد اقتنع بما ورد فيها من تأكيدات ، حتى نشر البلشفيك معاهدة سايكس بيكو ، التى اكتشفت بين الوثائق المودعة فى خزانة القيصر • ولانهم لم يكونوا طامعين بانتهاج سياسة استعمارية ، فقد اعرضوا عن الامتيازات التى تمنحها لروسيا تلك الاتفاقية • ونقل الاتراك نصوص المعاهدة الى فيصل بن الحسين ، وعرضوا عليه عقد سلم منفرد مع العرب • الا ان الحكومة البريطانية سارعت بارسال توضيح فيه الشيء الكثير من المراوغة أعاد الاطمئنان الى الملك حسين والى غيره من قادة العرب • كذلك نقلت الى العرب تأكيدات أخرى ، فى بيانين عن السياسة البريطانية ، نشرا فى عام ١٩١٨ ؛ كان الاول جوابا لتقرير قدمه للحكومة البريطانية سبعة من زعماء العرب فى القاهرة ، وكان الاخر بيانا انكليزيا فرنسيا نشر فى السابع من تشرين الثانى • وقد اعلن فى هذا البيان عند الاشارة الى سوريا والعراق ، بان احدى اهداف الحكومتين البريطانية والفرنسية « تأسيس حكومات وطنية وادارات تستمد سلطاتها من السكان

الاهليين بطريقة الاختيار الحر » • وان الحكومتين « متفقتان على تشجيع ومساعدة تأسيس حكومات ، أهلية وادارات وطنية فى كل من سوريا والعراق » يضاف الى البيانين السابقى الذكر ان النقطة الثانية عشرة من نقاط ولسن الاربع عشرة التى وضعت القاعدة القائلة بان القوميات غير التركية التى كانت تحت الحكم التركى « يجب ان يؤكد لها بانها ستهيأ لها الظروف المطلقة ، التى لا يعيقها عائق ، لانماء الحكم الذاتى فيها » وكان من الصعب التوفيق بين الرسائل والاتفاقات والوعود التى سبق الاشارة اليها •

وكان أحد الاسلحة التى اعتمد الالمان عليها فى الحرب ، تأييد المسلمين من غير الاتراك للسلطان بوصفه خليفة للمسلمين • فقد اعلن السلطان الجهاد ـ الحرب المقدسة ـ وأعلن الالمان بانهم اصدقاء الاسلام ، وحتى انهم اعلنوا فى دعاياتهم غير الرسمية بأن القيصر كان مسلما • وكان لدعوة الجهاد تلك ، تأثير قليل على سير الحركات الحربية اذا ما استثنينا تأثيرها على امام اليمن الذى كا فى حالة حرب متواصل مع السلطان منذ سنوات عديدة • فلما أعلنت الحرب بين تركيا والحلفاء ضم قوته الى الاتراك • ولم تجد نفعا اتصالات المقيم البريطانى فى عدن • وكان من أثر ذلك ان احتلت الجيوش التركية فى اليمن لحج وتقدمت نحو ضواحى عدن • ومع ان الجيوش التركية ارتدت قليلا عن عدن الا انها ظلت محتلة لحج حتى عقد الهدنة • وكادت ان تكون تلك القوة مبعث خطر كبير على بلاد العرب ، وعلى افريقيا لو قدر للبعثة الالمانية المرسلة عبر الحجاز الوصول اليها • وكان الغرض من تلك البعثةتنظيم الدعاية لتركيا وتهريب السلاح الى العشائر واثارتهم ضد الحلفاء • ولكن ثورة العرب فى الحجاز حالت دون وصول البعثة الى اليمن وعرقلت مساعيها •

وبعد ان اصبحت ثورة الحسين أمرا واقعا ، اتخذ الشريف حسين لنفسه لقب ملك العرب • بينما اعترفت الحكومتان البريطانية والفرنسية له بانه اصبح ملكا على الحجاز وحده • وبدأ الحسين حركته باخضاع مكة ثم احتل جدة وغيرها من المدن الساحلية بمساعدة نفر من البريطانيين • وبعدما هزمت الجيوش البريطانية الجيوش التركية من شبه جزيرة سيناء ، فى عام ١٩١٧ احتلت جيوشه مدينة العقبة عند رأس البحر الاحمر تاركة خلفها الجيش التركى الكبير محاصرا فى المدينة المنورة • وقد بذال الاتراك جهودا جبارة لايصال المؤن والذخائر والامدادات الى الحامية المحاصرة ، ولكن محاولاتهم ذهبت من غير جدوى لان سكة حديد الشام ـ المدينة المنورة كانت محاصرة من قبل قوة من الجيش العربى بأمرة الامير فيصل ، ويعاونه فى عمله ت• اى• لورنس وغيره من الضباط البريطانيين •

ومع ان ثورة العرب لم تكن حاسمة كما تبدو لبعض من مؤرخى العرب ، الا انها كانت بالغة الاهمية لتأييد العرب قضية الحلفاء• ومن الغريب ان عرب فلسطين لم يساهموا مساهمة كبيرة فى الثورة ، مع ان الاحداث كانت تقضى عليهم يومذاك بان يساندوا القائمين بالثورة ويساهموا بها • بينما نجد مئات عديدة من يهود فلسطين يتطوعون للخدمة فى الجيش البريطانى ، حتى انهم الفوا كتائب للنقل عرفت بكتائب النقل الصهيونية ، التى ارسلت الى ميدان غاليبولى • يضاف الى ذلك ان الاستخبارات البريطانية استطاعت الحصول على معلومات قيمة من اليهود القاطنين خلف الخطوط التركية ، الذين خاطروا بارواحهم فى خدمة قضية الحلفاء •

وامتدح ابن السعود الشريف حسين لاعلانه الحرب على الاتراك ، وكان قد عقد معاهدة تحالف مع نائب الملك فى الهند عام ١٩١٥ • كما كان مستعدا للتعاون مع الشريف حسين ، ولكن كبرياء الحسين نحو رجل كان يعتبره محدث النعمة ، حال دون ذلك التعاون • وكانت مساعدات ابن السعود ، بمقاومته عائلة ابن الرشد ، المناصرة للاتراك ، ذات قيمة كبيرة • ولو قدر له ان يستلم مقادير الذخيرة والاسلحة التى وعد بها ، لقام بعمل أكثر فائدة مما قام به • ويذهب البعض من المعجبين بابن السعود ، الى ان الحكومة البريطانية بمساعدتها الحسين كانت على ضلال من أمرها • غير ان اولئك المتحمسين كانوا ينظرون الى الاحداث متأثرين بما قام به ابن السعود فى السنوات التالية دون ان يراعوا الظروف الرهنة يومذاك • فمما لا ينكر ان الحسين كان أول من اقترح ايجاد جبهة موحدة ضد الاتراك • كما ان مقامه شريفا لمكة ، وحفيدا للرسول ، أعطاه نفوذا كبيرا فى العالم العربى • يضاف الى ذلك انه كان على تماس مباشر مع الاتراك ، وفى امكانه اشغالهم ، خلاف ما كان عليه ابن السعود • فنجد بعيدة عن الميدان الحربى وعائلة ابن الرشيد فى حائل تقاومه فى نفوذه •

وأخذت موقعة فلسطين الحاسمة ، التى بدأت فى ايلول من عام ١٩١٨ ، مظهرا حربيا هاما ، يتجلى بعزل الخط الحديدى الرئيسى وراء مواقع الجيوش التركية ، وتطويق الجناح الايسر للجيش التركى من قبل قوة توغلت فى الصحراء ، والتفت عليها من الناحية الشرقية • وكانت تلك القوة تتألف من جيش عربى نظامى وغير نظامى ، كما ضمت كتيبة للجزائريين بقيادة ضابط

فرنسى ، وفريق من الكورغا مع كتائب نقل مصرية اتخذت الابل وسائط للنقل • وكان لورنس وغيره من الضباط البريطانيين يديرون دفة حركات هذه القوة • وفى اليوم الاول من شهر تشرين الاول سقطت دمشق بيد هذه القوة ؛ وفى نهاية الشهر المذكور عقدت الهدنة مع الاتراك ووقع على شروطها فى جزيرة مودروس • وترك للامير فيصل ، الذى استقبلته دمشق بحماس منقطع النظير ، امر تأليف حكومة وطنية فى سوريا ؛ بينما احتلت فرنسا لبنان • وتركت فلسطين الى بريطانيا • على ان تبقى جميع هذه الاقطار تحت سيطرة الجنرال اللنبى القائد البريطانى العام •

- ٥ -

عندما وضعت تركيا مصيرها بيد الدول المركزية[1] ، اضطرت الحكومة البريطانية الى اعلان حمايتها على مصر ، خشية ان تحدث فى هذا البلد اضطرابات ، ان هى أبقت الوضع فيها على ما كان عليه قبل اعلان الحرب • ولم تستطع ان تلحقها بالامبراطورية البريطانية لما لاقته من مقاومة عنيفة من حلفائها • فكان من نتائج اعلان الحماية على مصر ، ان خلع الخديوى عباس حلمى عن عرشه ، وكان يومذاك فى القسطنطينية وموالیا الى الاتراك ، وعين بدله أحد أولاد اسماعيل ، باسم سلطان مصر • وعندما اعلنت حالة الحرب مع تركيا اعلن القائد العام فى مصر بان بريطانيا تعهدت بجميع المسؤوليات اللازمة للدفاع عن مصر • وكان المفروض فى مصر ان تبقى على الحياد فى حرب استخدمت فيها قاعدة حربية هامة • والواقع ان المصريين كانوا محايدين فى شعورهم ولم تكن الحرب تعنيهم بقليل أو كثير • ومع ان الخليفة أعلن الجهاد فانهم لم يقوموا بأى عمل عدوانى

(١) Central Posders

يناصرون فيه تركيا ، حتى عندما حاولت الجيوش التركية فى كانون الثانى من عام ١٩١٥ ، الهجوم على القنال فصد بسهولة .

على ان القرار القاضى بعدم دعوة الجيوش المصرية للخدمة ضد الدولة التى يدينون لها بالطاعة ، وان كان كريما فى غايته ، فيه الشىء الكثير من الانتقاص من قيمة تلك الجيوش . ومع ذلك فان البعض من المصريين تطوعوا فى خدمة الجيش العربى ، وان لم يكن عددهم كبيرا . كما سخر عدد كبير من المصريين ليقوموا بالدفاع عن القنال ، وكانوا ينؤون تحت ثقل هذه المسؤولية . وقد اضطرت القيادة البريطانية فى مصر الى استعمال الضغط الشديد ، لتوفير الرجال ولتأليف كتائب العمال المصريين . فعندما طلبت السلطات العسكرية البريطانية متطوعين لتأليف تلك الكتائب ، لم يتيسر لها الحصول عليهم الا بالطرق التى اتبعت فى عهد اسماعيل ، ولم تجد نفعا الطرق التى كان كرومر يستعملها لتجنيدهم . ولم يقتصر ارسال تلك الكتائب الى فلسطين فقط ، بل ارسلت الى فرنسا حيث أبيدت عن بكرة أبيها . اما ما بقى من الفلاحين ، فقد حل بهم الفقر من جراء اغتصاب مواشيهم ودوابهم ، لاجل الاغراض الحربية مع ان بيان القيادة العامة كان يؤملهم بتعويضات سخية عما فقدوه من مواشى ودواب . وقد اقتصرت التعويضات على ما اغتصب من حيوان ، وماذا يجدى ذلك نفعا لشخص فقد أسباب رزقه . ولو كان تنفيذ الامر العسكرى شاملا جميع الفلاحين بالتساوى لهانت المصيبة ، ولكن استعملت المحسوبية فى ذلك ، فاغتصبت حيوانات بعض الفلاحين وترك العمد المكلفون بجمع تلك الدواب حيوانات الآخرين . ومما يجب ذكره بهذا الصدد ان الاساليب التعسفية تلك لم تقم باستعمالها السلطات البريطانية ، ولو كان لديها من الرجال ما تستطيع توفيره للاشراف

على طـرق الحيـــوانات ، لقضت على تلك المســاوىء • غـير ان الرأى العام المصرى كان يشعر بأن بريطانيا هى المسؤولة عما حدث من مآسى فى البلاد • وقد تجمعت تلك المساوىء فانفجرت بعنف بعد عقد الهدنة بقليل •

- ٦ -

ومن الواضح ان أية قوة معادية لبريطانيا تتمركز فى العراق ، يوم ان كان تابعا لتركيا ، ستكون مبعث خطر عظيم على المصالح البريطانية فى الشرق • فاذا ما استطاع الالمان نقل غواصاتهم عبر هذا الجزء من تركيا فسيسهل عليهم ، عرقلة خطوط المواصلات البريطانية فى الخليج الفارسى • فيصبح اذ ذاك شيخ الكويت تحت رحمة الاعداء ، وكذا سيكون حال شيخ المحمرة • سيما وان امارة الاخير وان كانت مستقلة بعض الاستقلال عن ايران ، وحليفة لبريطانيا ، فانها كانت مطمح انظار الاعداء ، لما انشىء عليها من مصافى للنفط حديثة قامت بانشائها شركة النفط الايرانية الانكليزية بعبادان • وان أى ضغط من قبل تركيا والمانيا ، من شأنه ان يجتذب ايران الى ميدان الاعداء ، فتصبح الهند وافغانستان فى وضع مكشوف ليس من الصعب على جواسيس الاعداء اختراقه •

وكثيرا ما يظن ان الدفاع عن مصالح شركة النفط البريطانية فى ايران ، هو الباعث الى حملة العراق • مع ان الحكومة البريطانية كانت تعتقد ان النفط وحده كان لا يدعو الى ارسال حملة كحملة العراق • فثمة مصالح أخرى ذات أهمية بالغة وذات جذور تاريخيـة ، هى التى دعت الى تلك الحملة • وهذا ما جعل الحكومة البريطانية لا تعطى النفط فى بادىء الامر الاهمية اللازمة • ولكن سرعان ما تبدل الوضع بعد ان اصبح النفط المجهز

من حقول عبادان ، العامل الاول فى تحقيق أهداف الحرب • الامر الذى جعل الشركة تضاعف جهودها من أجل الاسراع فى مضاعفة انتاجها • لقد كان انتاج شركة النفط البريطانية الايرانية فى عام ١٩١٤ نحو من ٢٧٠ر٠٠٠ طن فصار فى نهاية الحرب ٩٠٠ر٠٠٠ طن فى العام •

عند اعلان الحرب على تركيا ، عسكرت فرقة من الجيش الهندى فى البحرين • وبعد أسبوع من القصف التركى للموانىء الروسية ، احتلت قوة هندية ميناء الفاو عند مصب شط العرب • ثم أخذت الجيوش الهندية تزحف فى وجه مقاومة عنيفة ، نحو الشمال فاحتلت بغداد فى مارت من عام ١٩١٧ ، اثناء ما جاءت أخبار ثورة كيرنسكى ، وأثيرت الشكوك حول رغبة روسيا أو مقدرتها للقيام بتعهداتها لمتابعة الحرب ، وبعدم عقد صلح منفرد • وعندما وقع الاتراك اتفاقية الهدنة فى مودروس كانت الجيوش البريطانية على بعد ثلاثين ميلا من مدينة الموصل • ولم تحتل هذه المدينة الا تنفيذا لشروط الهدنة التى اعتبرت الموصل نقطة ستراتيجية هامة تحول دون تهديد سلامة الجيوش البريطانية •

وكانت كلفة الميدان الحربى فى العراق باهضة ، سواء فى الرجال أم فى المعدات • وقد يتسائل البعض لماذا لم تتبع بريطانيا الطريقة ذاتها التى اتبعتها فى ميدانى الحجاز وفلسطين ، حيث قام العرب بالحركات الحربية الفعلية ، واكتفى البريطانيون بالقيام بدور المحرضين للحرب أو بدور القيادة• واذا ما كان ثمة دواعى تبرر اختلاف السياستين المتبعتين فى العراق وفى الحجاز عند أوائل الحرب ، فمن الامور المشكوك فيها وجود دواعى دعت الى اتباع سياسة واحدة فى جميع هذه الاقطار عند نهاية الحرب • فان الحجاز بلد قليل السكان ، وليس لبريطانيا فيه أية مصالح سياسية ، وأكثر

سكانه من العرب الرحل • بينما كان سكان العراق من العرب المستقرين ، يعيشون حسب نظام ادارى معقد • فعندما تداعى ذلك النظام ، بعد انسحاب الاتراك وهروب أهم الموظفين الاداريين ، اضطرت القوات المحتلة الى تعيين من يحل محلهم ، ولم يتيسر فى ذلك الوقت من يقوم بهذه المهمة من غير الانكليز • ولم تظهر فكرة استقلال العرب الا بعد ان احتل أكثر من نصف العراق • ففى الوقت الذى بلغت به جيوش الشريف حسين مدينة العقبة كانت بغداد فى قبضة الجيوش البريطانية •

وكانت رسائل مكماهون تنم عن التباين فى السياستين المتبعتين فى كل من الحجاز والعراق • فلما قامت حكومة الهند ، نيابة عن الحكومة المركزية بارسال حملة الى العراق ، فقد كانت تفكر بامكان ضم البصرة وحتى بغداد الى الامبراطورية البريطانية ، أو الى الهند • ومع ان تطور العلاقات البريطانية العربية ، والعلاقات العربية مع الحلفاء ، قضى على تلك الفكرة ، فان الحكومة البريطانية لم تعد العراق على وجه التخصيص بالاستقلال ؛ اللهم الا ما يمكن الاستدلال عليه مما ورد فى البيان البريطانى الفرنسى ، الذى تم الاتفاق عليه فى تشرين الثانى من عام ١٩١٨ • وكانت الحرب يومذاك تلفظ أنفاسها • يضاف الى ذلك ان السلطات العسكرية فى العراق ، كانت لاسباب عسكرية صرفة ، ترفض الاقتراح القائل باستخدام عرب العراق ضد الاتراك • ففى زعم تلك السلطات ان عرب العراق هم غير الضباط العراقيين الذين كانوا يحاربون الاتراك فى الحجاز أو فلسطين • فقد كانوا قبائل تهتم بالنهب والسلب أكثر من أى شىء آخر ، وموقفهم هذا زاد فى المصاعب التى كانت تلاقيها السلطات العسكرية فى ميدان العراق •

ومع ما كانت تظهره السياسة البريطانية فى العراق من برود وتردد

فى وعدها العراقيين بالاستقلال ، وفى اعلان ان الاتراك لن يعودوا الى هذا الجزء من بلاد العرب • فان الكثيرين من سكان البلاد ساهموا فى الادارة المدنية أو قدموا مساعدات كبيرة باشكال أخرى • وبعد احتلال بغداد فى عام ١٩١٧ نشر بيان منمق تضمن تنويها عابرا بالامل فى اعادة عظمة العرب • وانه دعى « الاشراف والشيوخ وممثلى الشعب للمساهمة فى ادارة ••• الشؤون المدنية » • ومع ذلك فانه لم يعط عهدا قاطعا بان الاتراك لن يعودوا الى البلاد • ولكن ما ان وقع الاتراك اتفاقية مودروس حتى أخذت الاوساط الانكليزية تمهد السبيل لاعطاء العراق وضعا خاصا يمثل مقاما متوسطا فى مراحل الاستقلال •

- ٧ -

ومع ان ايران كانت محايدة بالاسم ، طوال سنى الحرب ، فانها كانت فى الواقع ميدانا حربيا واسعا • فان وجود قطعات كبيرة من الجيش الروسى فى شمال ايران ، كان باعثا لهجوم تركى على ايران • وما ان دخلت تركيا الحرب حتى هاجمت ايران محتلة مقاطعة اذربيجان الايرانية • على ان الحملة البريطانية المتقدمة نحو البصرة كانت تلقى مساعدات كبيرة من شيخ المحمرة وكان تابعا ايرانيا حليفا لبريطانيا •

ومنذ اعلان الحرب ، شرعت المانيا بتنفيذ خططها لاثارة ايران ضد الحلفاء • فكانت البعثات الالمانية فى عمل مستمر لاجل تحقيق تلك الغاية • الامر الذى جعل حكومة الهند تقيم سلسلة من المراكز العسكرية عند الحدود الايرانية الشرقية لتحول دون تسرب الجواسيس الالمان الى الهند أو

افغانستان • وكانت تلك المراكز تسمى بنطاق شرق ايران[1] • ومع ذلك فان نفرا قليلا من الالمان استطاع اختراق ذلك النطاق فبلغ مدينة كابل • غير ان الالمان عجزوا عن اقناع افغانستان بالانجراف معهم فارتدوا على اعقابهم • وكان اسموس أقدر اولئك الجواسيس ، فقد القى البريطانيون القبض عليه فى جنوب ايران ، ولكنه فر وظل متخفيا حتى نهاية الحرب • وبقى مبعث اضطراب وتهديد للمصالح البريطانية مدة اختفائه •

وكان الاتراك يقدرون أهمية النفط ، ولهذا نفذوا الى جنوب ايران ، وحرضوا رجال القبائل هناك لقطع أنابيب النفط فقطعت فى مواضع مختلفة • مما اضطر الحكومة البريطانية الى ارسال قوة بريطانية الى الاهواز ، بموافقة من الحكومة الايرانية التى لم تكن لتستطلع القيام بأكثر من تقديم الاحتجاجات الى القسطنطينية ، فكان من جراء ارسال تلك القوة ان انسحب الاتراك وراء الحدود العراقية ، فتلاشى التهديد الذى كانت مصادر النفط معرضة اليه • يضاف الى ذلك ان المساعدات القيمة التى قدمتها عشائر البختيارية ، الاصدقاء التقليديون لبريطانيا ، ضمنت سلامة الحقول النفطية •

على ان المصالح البريطانية فى الاقسام الاخرى من ايران بقيت عرضة لهجمات الاعداء العنيفة • فمن ذلك ان الجواسيس الالمان قاموا باثارة قوات غير نظامية يدعمها الدرك الايرانى بقيادة ضباط سويديين • وقد جاهدت تلك القوات من أجل القضاء على النفوذ البريطانى فى جنوب ايران • فسيطرت على عدد من المدن دون أن تعارضها الحكومة الايرانية ، وطردت أو اسرت القناصل البريطانيين الموجودين فيها • وسرقت خزائن الكثير من فروع المصرف البريطانى الامبراطورى • وللوقوف أزاء هذا الخطر انتدبت حكومة

---

(1) The East Persia Cordon.

الهند السر برسى سايكس[1] ليقوم بجمع قوة من المتطوعين الايرانيين بقيادة ضباط بريطانيين أو ايرانيين ، تدعمها قوة بريطانية وهندية ، يعهد اليها أمر توطيد الامن فى جنوب ايران • وكانت هذه القوة التى عرفت بـ « بنادق جنوب ايران »[2] قوة فعالة اتحدت مع الروس فى تشكيل سلسلة تخترق ايران للحيلولة دون تسرب الجواسيس الالمان الى الناحية الشرقية من البلاد • ولم يقدر لتلك السلسلة البقاء طويلا لان القسم الشمالى منها تداعى على أثر قيام الثورة البلشفية •

وكان من نتائج عقد الهدنة بين تركيا وروسيا البلشفية فى كانون الاول عام ١٩١٧ ، ان اضطرت بريطانيا الى ارسال جيشين الى ايران اثبتت الايام انها لم تقم بأى عمل حربى يذكر • ارسل الجيش الاول من بغداد الى باكو بقيادة الجنرال دنسترفيل[3] ، وارسل الآخر بقيادة الجنرال مليسن[4]• وكان هدف هذا الجيش تقوية النطاق المضروب حول شرق ايران ، وتوسيعه حتى مشهد فمرو ، المدينة الواقعة على الخط الحديدى الممتد حتى بحر قزوين • وقد طلب الى الجيشين ان يظما جهودهما الى العناصر المقاومة للتقدم الالمانى التركى ، وللقضاء على حركات جواسيس الاعداء ، وعلى ما يثونه من دعايات • وكانت مهمة جيش دنسترفيل ان يحول دون وقوع حقول نفط باكو ومصافيه بأيدى الاتراك أو الالمان • اما جيش مليسن فكان مسؤولا عن تأمين النقل البحرى فى بحر قزوين • فلما بلغ دنستر فيل مدينة باكو وجد الوضع مضطربا ، ولم يستطع ان يقوم بأى عمل فعال ، فاضطرت جيوشه الى الانسحاب نحو ايران ؛ وبقيت معسكرة هناك حتى عام ١٩٢١

---

(١) Sir Percy Sykes. (٢) South Persia Rifles.
(٣) General Dunsterville. (٤) General Malesen.

عندما قضت الظروف السياسية والاقتصادية بانسحابها • على انها ساهمت فى القضاء على الحركات التى قامت بها جيوش الحكومة الروسية الذين ساندوا ثورة نشبت فى مقاطعة جيلان ضد الانكليز والايرانيين معا •

وبعد انسحاب جيش دنستر فيل من باكو اتصل جناحه الغربى مع الآثوريين (النساطرة) والارمن ، الذين كانوا يقاومون بشدة القوات التركية فى شمال ايران وفى تركيا • وقد شردهم الجيش التركى قبل وصول النجدات والسلاح الذى وعدهم به الجنرال دنستر فيل • فهرب من بقى منهم مع عوائلهم الى العراق ، وكان الجيش البريطانى يزودهم بالزاد والطعام • وقد مات الكثيرون منهم وهم فى طريقهم الى العراق ، وبلغ العراق ما يقرب من خمسين الف لاجىء تكفلت الحكومة البريطانية أمر اعاشتهم لعدة سنوات • اما الارمن فقد تم نقل من آثر السفر منهم الى باطوم فى ارمينيا السوفياتية على نفقة الحكومة البريطانية ، بينما ظل الآثوريون فى العراق ليكونوا معضلة لانفسهم ولغيرهم دامت بضع سنوات •

ولا تذكر حملة الجنرال مليسون الا بما أثاره البلشفيك حولها من دعايات لا صحة لها • فقد ادعوا بان قائدها مسؤول عن مقتل ستة وعشرين ضابطا روسيا ارسلوا لضم القوقاز ومنطقة بحر قزوين الى القضية البلشفية • فأسرتهم قوات الروس البيض المسيطرة على كراستوفورسك واعدموا رميا بالرصاص • فعندما سمع الجنرال مليسون بصدور حكم الاعدام حاول جهده تخليصهم من ذلك الحكم والاكتفاء باسرهم ولكنه فشل فى جميع محاولاته •

- ٨ -

ودامت الحرب مع تركيا أربع سنوات • ومع ان اندحار تركيا كان

كاملا فان الصلح معها لم يتم الا بعد مضى مدة طويلة • ذلك لان الحلفاء لم يتفقوا فيما بينهم على شروط الصلح معها • وقد احتلت الجيوش البريطانية والفرنسية والايطالية خلال تلك الفترة مدينة القسطنطينية • وفى شهر ايلول من عام ١٩١٩ تم الاتفاق بين المستر لويد جورج والمستر فنزيلوس ، على ان تقوم الجيوش اليونانية باحتلال مدينة أزمير تحميها نيران مدافع الاسطول البريطانى والفرنسى والامريكى • وقد رافقت هذا الاحتلال اعمال وحشية واعتداءات فضيعة نتيجة للعـــداء التاريخى بين اليـونان والاتراك • فحفز ذلك الاحتلال وتلك الاعتداءات ، فئة من الاتراك بقيادة مصطفى كمـال (كمال اتاتورك) للقيام بالحركة الوطنية التركية • فكانت ثورة على النظام العثمانى المستسلم لاعداء البلاد ، قرر قادتها وأقطابها مقاومة أية محاولة لقسمة آسيا الصغرى أو تراقيا • بينما كان السلطان مستسلما الى الحلفاء ، متعاونا معهم أبعد حدود التعاون • وفى مايس سنة ١٩٢٠ وقع ممثله معاهدة سيفر[1] التى اشترطت على تركيا ان تنفض يدها من الاقطار العربية ، التى كانت تابعة الى الامبراطورية العثمانية ؛ ومما يستحق الذكر ان قادة الحركة الوطنيـة وافقوا على هذا الشرط • كذلك حتمت معاهدة سيفر تسليم تراقيا الشرقية وغاليبولى وأزمير الى اليونان ، كما منحت فرنسا وايطاليا بالاتفاق مع بريطانيا مناطق نفوذ فى آسيا الصغرى • ومما ورد فى تلك المعاهدة الجائرة البحث عن امكانية تكوين دولة كردية تضم الولايات الكردية فى الدولة العثمانية •

لقد ولدت معاهدة سيفر ميتة • فان ما احتوته من شروط جائرة عجلت فى تحويل الرأى العام التركى من السلطان الى الحكـومة الوطنيـة التى تألفت فى داخل البلاد وسارعت روسيا السوفياتية الى الاعتراف بها • وجابه

---

(١) Treaty of Sevre.

الجيش اليونانى المحتل للاراضى التركية مقاومة عنيفة غير متوقعة أدت به الى الانسحاب من الاراضى التركية • وبالوقت ذاته هاجم المسلمون الهنود بشدة سياسة الحكومة البريطانية فى معاونتها اليونان وتركها تركيا • وفى هذا الاثناء أى فى ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٠ ، تم الاتفاق بين فرنسا والحكومة الوطنية التركية على وضع نهاية للخلاف القائم بين فرنسا وتركيا ، وعلى انسحاب الجيوش الفرنسية من كليكيا • كما عقدت ايطاليا اتفاقا مماثلا يقضى بانسحاب قواتها من الاجزاء المحتلة من آسيا الصغرى ، وبمساندة المطاليب التركية عند عقد معاهدة الصلح ، ولاسيما منها تلك المطاليب المتعلقة باعادة ازمير وتراقيا الى الحضيرة التركية •

وظلت الجيوش البريطانية وحدها معزولة فى هذا القطر ، بعد ان وقفت كل من فرنسا وايطاليا موقفا محايدا ، بل مؤيدا للمطاليب التركية • وهزم الوطنيون اليونان فى آب من عام ١٩٢١ ، وأخرجت الجيوش المعادية من أزمير ، وسحبت فرنسا وايطاليا جيوشهما من الدردنيل ، تاركة الجيوش البريطانية فى وجه الجيوش التركية المتقدمة ، وكادت تستعر نار حرب أخرى بين الجيوش التركية والجيوش البريطانية ، للموقف الصلب الذى وقفته القيادة البريطانية العامة • ولكن من حسن الحظ عقدت الهدنة بين تركيا وبريطانيا فى مودانيا ، وعقدت معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا فى عام ١٩٢٤ بمدينة لوزان • وبحسب تلك المعاهدة تنازلت الحكومة الوطنية التى اصبحت الحكومة التركية الوحيدة عن جميع مطاليبها الاقليمية فى الاقطار العربية ، عدا مدينة الموصل ، التى تركت لمفاوضات أخرى • وألغيت الامتيازات الاجنبية ، كما الغى مجلس الديون العثمانية • وما ان فازت تركيا بتلك الشروط الممتازة ، حتى سارعت الحكومة الوطنية بالغاء الخلافة

العثمانية ، وخلعت السلطان وأعلنت النظـام الجمهورى فى البلاد • وقد أغضبت تلك الخطوة المسلمين من الهنود ، وأثارت استيائهم ؛ مع ان شدة تحمس المسلمين للحركة التركية واخلاصهم للخلافة كان له بعض التأثير فى توجيه مفاوضات الصلح مع تركيا •

وفى الوقت الذى وقعت به معاهدة لوزان ، تمت محاولة انهاء قضية المضايق بالتوقيع على ميثاق خاص بها • وكانت محتويات هذا الميثاق :

١ ـ جعل البسفور وجزر بحر مرمرة عدا جزيرة واحدة وبعض جزر بحر ايجا مناطق غير عسكرية •

٢ ـ تأليف لجنة للمضايق مسؤولة أمام عصبة الامم وحدها •

٣ ـ اعطاء ضمان دولى لحرية الملاحة فى المضايق وسلامة المنطقـة غير العسكرية بجميع الوسائل التى يستطيع مجلس الجامعة التوسل بهـا فى حالة الاعتداء عليها أو فى حالة اعلان حرب تهدد بالاعتداء •

ـ ٩ ـ

حالما تم التوقيع على هدنة مودروس مع تركيا ، تقدمت الاقطار العربية مطالبة بتحقيق الوعود والتعهدات التى تعهدت بها دول الحلفاء • غير ان الفرنسيين لم يكونوا مستعدين للتنازل عن مطاليبهم فى الشرق الاوسط ، مع ان الجيوش الفرنسية لم تقم بحركات حربية واسعة فى ميادين هذه البقعة من المعمور • ومما زاد فى تعنتهم ، انهم لم يشتركوا برسائل مكماهون ، ولم تكن ثمة مسؤوليات عليهم نتيجة لتلك الرسائل ؛ يضاف الى ذلك انهم كانوا ، نتيجة لاتفاقية سايكس ـ بيكو ، يلعبون بورقتين هامتين أثرت أشد الاثر فى الخطط البريطانية ، هى الموصل وجزء من فلسطين • والى هاتين

الورقتين يعزى اطلاق يد الفرنسيين فى سوريا • فلكى تحتفظ فرنسا بسوريا سمحت بضم الموصل الى العراق كما تنازلت عن مطاليبها فى فلسطين •

ولم تعد زيارة فيصل لمؤتمر السلام ، المنعقد بباريس فى أوائل عام ١٩١٩ ، بالفائدة المرجوة على العرب ، فقد كان البريطانيون منشغلين بمشاكلهم ، كما كان الفرنسيون يناوئون مطاليب فيصل • فشجع هذا الوضع اليهود لان يغتنموا الفرصة محاولين الحصول على اعتراف من فيصل بمطاليبهم فى فلسطين • وقد أدت محاولتهم تلك الى توقيع اتفاق فى الثالث من كانون الثانى من قبل فيصل نيابة عن مملكة الحجاز العربية ، والدكتور وايزمان نيابة عن المنظمة الصهيونية • ومما جاء فى تلك الاتفاقية اقامة علاقات دبلوماسية بين « دولة العرب وفلسطين » والسماح بالهجرة الى فلسطين • (وبهذه المناسبة نود ان ننوه بأن تلك الاتفاقية نصت أيضا على أن أى خلاف ينشأ بين الطرفين المتعاقدين يجب ان يعرض على الحكومة البريطانية للفصل فيه) • ومما يجب الا يغفل عنه ان الاتفاقية ذيلت بتوقيع فيصل مع الملاحظة التالية « انه يوافق على الاتفاق فى حالة واحدة فقط وهى اذا ما حصل العرب على استقلالهم ، كما هو معروف فى المذكرة المقدمة الى وزارة الخارجية فى الرابع من كانون الثانى » ، ولا بد ان تكون « الرابع من كانون الثانى » سهوا يعنى به « الاول من كانون الثانى » ، وهو التاريخ الذى قدم فيه فيصل مطاليبه الى مؤتمر السلام ، والتى تضمنت ان الدول يجب الا تتخذ أى قرار يحول دون تحقيق الاتحاد بين سوريا والعراق وفلسطين ، بادارة حكومة ملكية واحدة ، ذلك الاتحاد الذى يجب ان يضمن للعرب ازالة الحدود بين هذه الاقطار ، وتوحيد طرق المواصلات وأسبابها ، واتباع نظام تعليمى موحد • وكما لا يخفى ان هذه المطاليب لم تتحقق الامر الذى يجعل اتفاق

فيصل ـ وايزمان كأن لم تكن •

وحدد مؤتمر سان ريمو المنعقد فى نيسان ١٩٢٠ ، بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة أوضاع الاقطار العربية • فقد عهد الى بريطانيا أمر الانتداب على العراق والى فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان • كما عهد الى بريطانيا أيضا الانتداب على فلسطين شريطة ان تحقق وعد بلفور • وأثارت هذه القرارات الاستياء الشديد فى سوريا ، ذلكم لان لبنان كان تحت الادارة الفرنسية منذ هدنة مودروس ، بينما كانت سوريا تتمتع بحكم وطنى على رأسه فيصل ، وان كان البريطانيون يشرفون اشرافا غير مباشر على تلك الحكومة • يضاف الى ذلك ان المؤتمر السورى العام سبق له ان اختار فيصل ملكا على سوريا ـ وهى تشمل لبنان وفلسطين ـ على ان ذلك القرار لم تعترف به الحكومتان البريطانية والفرنسية • وقد بلغ الاستياء شدته لدى مستشارى فيصل من العرب ، حتى دفعهم الى ان يعلنوا الحرب على فرنسا • ومما زاد فى الوضع تعقيدا استياء الفرنسيين من الحركات الوطنية المتطرفة • فلما هاجمت بعض العناصر العربية ، المخافر الفرنسية على الحدود اللبنانية ، بعث المندوب السامى الفرنسى فى تموز من عام ١٩٢٠ احتجاجا شديد اللهجة الى فيصل ، واعقب ذلك اعلانه الحرب بنطاق واسع على الحكومة الوطنية فى سوريا ادت الى احتلال الفرنسيين مدينة دمشق والى انسحاب فيصل من البلاد •

- ١٠ -

وأثرت هذه الاحداث بالاوضاع القائمة فى العراق • فبعد ان انسحب فيصل من سوريا ، لم يلق الضباط العراقيون مستقبلا لهم الا فى بلدهم

الاصلى • وكان العراق اثناء ذلك فى اضطراب عام ، من جراء عجز الادارة القائمة للتوصل الى تسوية ترضى ابناء البلاد • ومرد ذلك العجز تباين وجهات النظر بين البريطانيين والفرنسيين والامريكان • يضاف الى هذا ان الادارة القائمة فى العراق كانت تختلف بوجهة نظرها مع الحكومة البريطانية • فقد كان كبار الضباط البريطانيين فى ادارة العراق يرغبون فى ابقاء الاشراف البريطانى على الدولة العراقية ، بينما كانت الحكومة البريطانية ، التى هى على اتصال وثيق بالثورة العربية وعلى بينة من الوعود الكثيرة التى اعطيت الى العرب ، ترى ضرورة تقديم البلاد خطوة واسعة نحو الاستقلال •

وكان الضباط العراقيون الذين اشتركوا بالثورة العربية ومن بينهم الشخصيتان البارزتان نورى باشا السعيد وجعفر باشا • يرغبون فى استلام ادارة البلاد حالا ، تلك السياسة التى لم يكن يرضى عنها القائد العام البريطانى ، الذى كان ولا يزال مسؤولا عن استتباب الامن والنظام فى البلاد ، والدفاع عن مدينة الموصل من أى اعتداء تركى محتمل الوقوع • ففى اواسط عام ١٩٢٠ عندما تأزم الوضع بين كلى الطرفين ، استدعى السر برسى كوكس[1] ، الذى كان يومذاك وزيرا بريطانيا فى بلاط طهران ، وكان قبل ذلك الحاكم السياسى والادارى فى العراق ، استدعى الى لندن لكى تعهد اليه وظيفة الحاكم العام فى العراق • ومما يؤسف له ان بضعة أشهر مضت ، قبل ان يصل الى بغداد حاملا معه سياسة معينة ، حدثت خلالها اضطرابات فى جميع انحاء البلاد • وكان القائمون بالثورة مزيج من ضباط العرب ، الذين اشتركوا مع البريطانيين فى محاربتهم الاتراك فى الحجاز وفلسطين ، ومن ابناء عشائر الفرات ، الذين عرفوا بالتمرد والفوضى والذين

---

(١) Sir Percy Cox

ثاروا على حكومة العراق الوطنية فى عام ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ • لقد كانت ثمة عوامل اثارت استياء ابناء البلاد • فمن ذلك ان البريطانيين كانوا صارمين فى تطبيق النظام ، وفى جباية الضرائب ، صرامة لم يألفها السكان فى عهد الحكم التركى • يضاف الى ذلك ان انسحاب الجيوش البريطانية من البلاد شجع العشائر على التمرد والعصيان لغرض السلب والنهب • ومما لا ريب فيه ان جزءا من المساعدات المالية التى قدمتها الحكومة البريطانية الى الملك حسين صرف فى اذكاء نار الثورة فى البلاد • ولا تعنى هذه العوامل ، ان الدعوة الى الاستقلال لم تكن منبعثة عن قلوب مؤمنة ، وانها لم تلق استجابة شاملة من مختلف ابناء البلاد • ومع هذا فقد تم القضاء على الثورة ، وجمع الجيش البريطانى ٦٥٠٠٠ بندقية من الثوار ، عقابا لهم على ثورتهم • وقد ساعد هذا التدبير فى استتباب الامن والاستقرار فى البلاد خلال السنوات التالية •

وفى تشرين الاول من عام ١٩٢٠ وصل السر برسى كوكس الى بغداد، واستطاع اقناع نقيب بغداد لان يكون رئيسا لمجلس الدولة الذى اعتبر بمثابة حكومة مؤقتة • وتطور هذا الكيان خلال السنوات العشر التالية حتى اصبح نظاما حكوميا وطنيا مستقلا استقلالا تاما •